**ثانيا : علاقة الثقافة بشخصية الفرد**

كان الجدل – عند الباحثين الأوائل – يدور حول هذه العلاقة ومدى أسبقية الثقافة وتأثيرها على تكوين الشخصية أو أسبقية الشخصية وقدرتها على صياغة الثقافة.

و اختلف علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع حول تأثير الشخصية على الثقافة، وتأثير الثقافة على الشخصية إلى مدرستين رئيستين:

المدرسة الليبرالية:

وترى أن أثر الثقافة على الشخصية هو الأقوى.

المدرسة الراديكالية:

وترى أن تأثير الشخصية على الثقافة هو المؤثر الفعال في صنع التحول الاجتماعي، وبناء الثقافة.

و لتناول فكرة موجزة عن ذلك الجدل لابد من التوضيح أننا أمام مضمون (أو عنصرين): أحدهما ثقافي والآخر سيكولوجي. وترى بعض الدراسات أن التداخل بين هذين المضمونين أساسي، لهذا نجد الباحثة روث بندكيت (R.Benedict) تستخلص أن الثقافة والشخصية عبارة عن جانبين اثنين لحقيقة واحدة، بالانطلاق من أن طبيعة العلاقة بينهما تسير في اتجاه واحد: من الثقافة والمجتمع إلى الشخصية. وهذا الإسهام يبرهن على عملية التنشئة الاجتماعية التي يتمثّل فيها الفردُ الثقافةَ وهي بدورها تجعل كل مجتمع ينتج نموذجًا متميزًا من الشخصية، والنموذج عبارة عن إطار نظري من تنظيم عقلي متوافق يستطيع التكيّف مع متطلبات المجتمع الوظيفية والبنائية.

و يلاحظ أن مفهوم الشخصية –في رأي بندكيت– بمثابة النظير السيكولوجي لمفهوم الثقافة، مما يجعل هذا المفهوم يحتلّ وضعًا متوسطًا بين مفهوم الثقافة ومفهوم المجتمع.

ومن الذين يدمجون الثقافة بالشخصية الباحث رالف لينتون ( Linton R. )إذ يرى أن عملية التنشئة الاجتماعية تتكون أساسًا من لعب دور ودمج ذلك الدور مع أدوار أخرى تمثل أنساقاً ثقافية، ليصل إلى تعريف للشخصية على أنها مجموعة من الأدوار. ويُعدّ مفهوم الشخصية عنده بمثابة بناء تصوّري يعني ضمنيًا نموذجًا للسلوك السائد في ثقافة ما.

كما سارت الباحثة الانثروبولوجية مارجريت ميد (Mead Margaret ) في الاتجاه ذاته. ففي دراستها لعملية تربية الطفل تُقدّم مجموعة متباينة من الآراء حول موضوع كلاسيكي يتعلق بالثقافة والطبيعة، وتوصّلت إلى الجزم بأن الطبيعة الإنسانية هي في النهاية نتاج ثقافي.

ما سبق من آراء يعطي الثقافة أولوية باعتبارها الوعاء الذي ينتج أنماط الشخصيات حتى جاء المحلل النفسي إبرهام كاردنير(.Gardiner A ) لينقد القول بأسبقية الثقافة على الشخصية وبأن العلاقة بينهما تسير في اتجاه واحد (من الثقافة إلى الشخصية). فهو يرى أن نظريات الشخصية والثقافة لم تتعمق في دراسة عملية تكوين الشخصية، ولهذا فقد فشلت في إدراك طبيعة العلاقة الحقيقة بين هذين العنصرين (الثقافة والشخصية). ويؤكد على أن الموقف الطفولي يمثل فترة حاسمة في النمو العقلي للفرد. ويؤكد على أن العلاقات بين الطفل ووالديه ذات دلالة مهمّة من بين كل الظروف المؤثرة. واختار – من بين الجوانب الأساسية لهذا الموقف المعقد– الأسلوب المحدد الذي يُشبع به الوالدان رغبات الطفل (الحسيّة، والغذائية، والعاطفية)، ويتعاملان مع دوافعه العدوانية. وبيّن أن هذا الأسلوب يكشف عن البناء القاعدي لشخصية الفرد، لأنه يمثل النسق الأولي للأمن الانفعالي. فعلى سبيل المثال، إن كان الوالدان حنونين وغير ظالمين في تعاملهما مع بواعث الطفل ودوافعه الذاتية،

فإن نسق الأمن الانفعالي سيكون إيجابيًا، فتتكامل شخصية الفرد حول مشاعر الأمن الأساسية المتمثلة في الصداقة والثقة. و في المقابل، لو كان الوالدان أقل حنوا وغير متساهلين فإن نسق الأمن الانفعالي للطفل يكون سلبيًا ويتسبب في تكوّن صورة للعالم على أنه مكان عدواني يصعب العيش فيه. ( علي عبد الرزاق جلبي.2008.ص –ص 250-256).

و لقد اعتبر كاردنير المؤسسات الاجتماعية خاصة الأولية منها جوهرية و كأساس لبناء الشخصية. حيث وجه أبحاثه نحو دراسة بنية الأنا هذه المشتركة عند أفراد مجتمع ما و الناتجة عن الأثر الأولي، هذه البنية هي التي أصل المؤسسات الثانوية مثل : الأنظمة الدينية و المحرمات و الفلكلور و تقنية الفكر و الايديولوجيا... .( – سيمون كلابيه فالادون. 1993. ص 16).

فالطرح الذي قدمه كاردنير يعطي الأسبقية للشخصية و بنائها القاعدي في التشكل و الانتماء الثقافي للفرد. و يمثل كل من روث بندكيت و رالف لنتون و مرجريت ميد مدرسة الثقافة و الشخصية و الذين سلموا بأسبقية الثقافة على الشخصية.

**4-أثر الثقافة على الشخصية**

الثقافة هي البوتقة التي تحيط الفرد منذ الصغر وتجعل منه إنسانا، فهو يتعلم كيف يتصرف كإنسان من خلال الثقافة السائدة في مجتمعه، والثقافة هي التي تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها في سنوات حياته الأولى. و الجدير بالذكر أن أساليب التنشئة الاجتماعية ليست واحدة في كل المجتمعات، بل تختلف من مجتمع لآخر وتختلف في نفس المجتمع من وقت إلى آخر.

ويأتي الإنسان إلى الوجود مثله مثل الحيوانات الأخرى يحتاج إلى إشباع الاحتياجات الغريزية ( كالغذاء والشراب والجنس ... الخ ) . لكن الإنسان يتميز عن غيره من الحيوانات بالعقل الذي أهله لاختراع الثقافة التي تساعده على إشباع احتياجاته بوسائل مقبولة اجتماعيا. فالثقافة هي التي تشكل شخصياتنا كأفراد.

ويمكن تحديد أهم آثار الثقافة على شخصية الفرد فيما يلي :

**ا-أثر الثقافة في الناحية الجسمية**

تؤثر الثقافة السائدة في كل مجتمع على السمات الجسمية لأفرادها ؛ فالسمنة وا لرشاقة ولون البشرة وشكل تسريحة الشعر وغيرها من مواصفات الجمال تتأثر بنظرة المجتمع وتقييمه للجمال ، ففي الماضي كان ينظر إلى السمنة على أنها من مواصفات الجمال في المرأة العربية ، أما في وقتنا الحالي فان الر شاقة وقلة الوزن أصبح من مواصفات المرأة الجميلة. و تصرف أموال باهظة على عمليات التجميل و الشد و الشفط.. الخ. أو ما تقرضه ثقافة بعض المجتمعات الإفريقية من مهام و أفعال بدنية شاقة على المراهقين لتختبر قدراتهم التي تأهلهم لدخول عالم الكبار. و هكذا نجد أن الثقافة السائدة تلعب دورا كبيرا في تشكيل أجسام أفرادها. و ضمن هذا السياق نجد:

*النمط الغذائي: يؤثر نوع الغذاء الذي يتناوله الفرد تأثيراً مباشراً على حالته البدنية، والصحية، فعلى سبيل المثال تميل بعض المجتمعات العربية و منها المجتمع الجزائري تفضيل تناول بعض الأكلات التي تحتوي على الدهون والنشويات بشكل أساسي، وكان ذلك مناسباً في الماضي بسبب ظروف الحياة، والعمل الشاق حيث تمد هذه النوعية الغذائية الجسم بالطاقة اللازمة لبذل المجهود البدني الكبير خاصة قي المجال الفلاحي و الزراعي. لكن مع تطور الحياة وتحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي، تناقص المجهود البدني، ولم تتغير العادات الغذائية، فظهرت البدانة كمشكلة صحية، وتبعتها أمراض ناتجة عنها

وانتشرت في المجتمع بمعدلات عالية مثل السكر، وارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب والشرايين، والتهابات المفاصل.

*الأزياء والملابس: و لها وظائف مختلفة أهمها الحماية من العوامل البيئية وظروف الطقس والمناخ، وتستخدم للتجمل، وكشعار اجتماعي ك البرنوس و القشابية و ثياب العروس، وثياب المناسبات العامة . أو وظيفي يعبر عن قيمة الفرد أو رتبته كما في ملابس الشرطة، والمهن الطبية... الخ.

***أثر الثقافة في الناحية العقلية**

تؤثر ثقافة المجتمع على النواحي العقلية والمعرفية للأفراد. فهناك مجتمعات تشجع أفرادها على المعرفة العلمية واستخدام التفكير المنطقي والعقلاني ، في حين نجد مجتمعات أخرى تشجع أبناءها على عزو الأمور والظواهر إلى الغيبيات والقوى الخفية والسحر ، وعدم محاولة البحث عن الأسباب الرئيسية الحقيقية للمشكلة.

كذلك فان الإبداع يتأثر بثقافة المجتمع فبعض المجتمعات تشجع على التخيل والابتكار عن طريق توفير مساحة من الحرية لأفرادها ، وتشجيعهم على الإبداع الفكري والأدبي ؛ بينما نجد مجتمعات أخرى لا تحث أفرادها على التخيل فهم يعرفون ما يرون أو يسمعون فقط .

***أثر الثقافة في الناحية المزاجية**

أثبتت كثير من الدراسات أن العوامل الوراثية ليست وحدها التي تشكل مزاج الشخص وانفعالاته ، وان الثقافة لها أثرا كبيرا في الصفات المزاجية للفرد. فان كانت الطبيعة الانفعالية شيء فطرى لدى الفرد إلا أن الثقافة تلعب دورا هاما في تشكيل طريقة التعبير عن الانفعالات والمشاعر ، والفرد يكتسب هذه السمات من الأسرة التي ينشأ فيها فهي سمات مكتسبة لا وراثية . كما تشجع بعض

الثقافات أفرادها على التحكم في عواطفهم وانفعالاتهم ، في حين نجد أن هناك ثقافات تحث أفرادها على إظهار عواطفهم ومشاعرهم بلا تحفظ ، مثلا الانجليز لا يميلون إلى البكاء بصوت عال عند وفاة أحد الأقارب مثلما يفعل بعض المجتمعات الشرقية و الإفريقية .

***أثر الثقافة في الناحية الأخلاقية**

هناك صلة كبيرة وتداخلا بين النواحي الخلقية والعقلية والمزاجية للشخصية ، ومن الصعوبة الفصل بينهما ، غير أن الناحية الخلقية أقرب النواحي إلى عوامل البيئة والوسط الاجتماعي والثقافة المهيمنة على الفرد ، فالأخلاق السائدة في المجتمع هي المحصلة الناتجة عن تفاعل النواحي المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية . و القيم الأخلاقية نسبية وتختلف من ثقافة إلى أخرى، فالثقافة هي التي تحدد النسق القيمي للأفراد. فما يعتبر حلالا في مجتمع ، قد يعتبر حراما في مجتمع أخر ، والصواب والخطأ يختلف باختلاف الثقافة السائدة ( مثلا السرقة تعتبر من الجرائم في المجتمعات الحديثة ولكنها كانت مباحة لدى كثير من الشعوب البدائية والقديمة ).

و هكذا فليس صحيحا أن الصفات الخلقية ترجع إلى الفطرة والوراثة، فقد أثبتت الأدلة الحديثة أن كثير من الصفات الخلقية ترجع إلى حد كبير إلى فوارق الثقافة، ومن ثم فان الصفات الخلقية يجب تفسيرها في إطار الثقافة التي تخضع لها.

و الحقيقة أن نظريات الشخصية المتعددة لا تستطيع فصل عنصر آخر وهو الثقافة عن مكوّنات أي نمط من أنماط الشخصية.

## 2- اثر الشخصية على الثقافة

قد يتصور البعض أن الثقافة مجموعة من المعارف والمهارات والعادات والاتجاهات التي يكتسبها الفرد بشكل تلقائي من المجتمع المحيط به، وان الفرد يتقبلها ويستسلم لها دون أي مقاومة أو رفض. ولكن الحقيقة أن الإنسان لا يتقبل الثقافة ولا يكتسبها بشكل تلقائي سلبي دون اختيار أو تعقل. فاكتساب الثقافة يختلف من فرد إلى أخر باختلاف العوامل الوراثية و العمرية و النفسية الخاصة بكل فرد وباختلاف أساليب التفاعل الاجتماعي التي يتعرض لها الفرد ، ومن ثم فان اكتساب الثقافة وتعاملنا معها يختلف من فرد إلى آخر. أي أن الإنسان يختار من الثقافة ما يناسب تكوينه الفيزيقي–الجسمي– والنفسي وما يتناسب و مفاهيمه وتفكيره واتجاهاته ، فهو يأخذ من الثقافة ويضيف إليها ، وكل منا يؤثر على الثقافة بشكل مختلف عن الآخر.

ويمكن للشخصية أن تؤثر على الثقافة من خلال عدة جوانب هي:

* **ظهور الأنبياء والرسل:** لا يقتصر تأثير الإنسان في الثقافة على الجوانب المادية فقط ، بل يمتد إلى الجوانب المعنوية و الروحية، فقد استطاع الإنسان أن يغير الكثير من الثقافات بأفكاره ومبادئه فظهور الأنبياء والرسل في العصور المختلفة كان له الأثر الكبير في تغيير مجرى التاريخ ، وفي تغيير حياة الناس وعاداتهم وتهذيب أخلاقهم ، والإجابة على التساؤلات التي تدور في عقل الإنسان . وكان للرسالات السماوية الثلاث ( اليهودية والمسيحية والإسلام ) الأثر الكبير في تغيير حياة ملايين البشر وانتقالهم من حياة الفوضى إلى الاستقرار ، ومن الظلم إلى العدالة ، ومن الكفر إلى الإيمان.

* **الاكتشافات:** أهم ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى هو العقل الذي مكنه من اختراع عناصر الثقافة واكتشاف الثروات الطبيعية والاستفادة منها مثل النفط ، الطاقة الشمسية. و الهوائية ... الخ. و الاكتشاف يعنى أن الشيء موجود ولكنه مختفي ، والإنسان هو الكائن الذي تمكن من الكشف عنه بواسطة العقل ، أما الحيوانات فهي غير قادرة على ذلك . فنجد مثلا أن الإنسان استطاع تحويل الطاقة الشمس إلى طاقة أخرى واستغلها في توليد الكهرباء . كما استطاع اكتشاف النفط واستغله في العديد من الصناعات.

***الاختراعات:** من إسهامات الإنسان في الثقافة اختراعه لأشياء وأدوات جديدة غيرت حياته و علاقته بالبيئة المحيطة به، ومن هذه الاختراعات : اللغة ، الكهرباء ، الطاقة البخارية ، والسيارة ، الطائرة ، الكمبيوتر، أجهزة الاتصال... وغيرها من الاختراعات التي زادت من رفاهيته..

***الحركات الإصلاحية:** كان للحركات الإصلاحية التي قام بها بعض الفلاسفة والمفكرين الأثر الكبير في إصلاح المجتمعات وتعديل الكثير من المفاهيم والأفكار الخاطئة لديهم ورفع الظلم عن الآخرين مثل : أفكار جمال الدين الأفغاني ، محمد عبدو ،عبد الحميد بن باديس ، مارتن لوثر كنج في أمريكا ، وأفكار غاندي في الهند ، وأفكار نيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا ،.... وغيرهم .

* **الثورات والحروب:** لم يقتصر تأثير الإنسان على الثقافة وعلى أفكاره فحسب، بل على الأفعال كذلك؛ فقد قاد الإنسان الثورات وأسس الدول التي غيرت مجرى التاريخ مثل : الثورة البلشفية، الفيتنامية، والثورة الجزائرية.. . ولم يكن تأثير الإنسان على الثقافة والمجتمعات ايجابيا في جميع الأحوال ، بل كان سلبيا في الكثير من الأحوال ، فالإنسان أكثر الكائنات الحية دمارا و إضرارا بالبيئة من خلال التلوث البيئي الذي أحدثه في هذا الكون.

كما قاد الإنسان العديد من الحروب التي دمرت البشرية ، وأزهقت الأرواح ، مثل : الحروب العالمية الأولى الثانية و ما بعدهما التي حصدت ملايين الأرواح البريئة من النساء والشيوخ والأطفال

ومما لا جدال فيه أن الشخصية و الثقافة يتأثر كلاهما بالآخر في تفاعل مستمر و لا يتوقف، بل أن التأثيرات الثقافية تتجاوز تأثر الفرد بثقافته إلى حد التأثر بالثقافات الأخرى من خلال الاحتكاك و المثاقفة، ومن ثم تتأثر الثقافات يبعضها البعض عبر التأثير الثقافي على الأفراد كأشخاص. من : ( احمد إبراهيم احمد. الثقافة و أثرها في بناء الشخصية ahmadalex.blogspot.com)

ونخلص من ذلك كله إلى أن العلاقة بين الشخصية والثقافة والمجتمع علاقة متبادلة وكل منهم يؤثر ويتأثر بالآخر ، والفرد كجزء من هذا الثالوث يؤثر ويتأثر بكل منها .

و ضمن هذا السياق يمكن أن نميز بين ثلاث طرائق في بحث التفاعل بين الفرد وبين وسطه الثقافي:

**الطريقة الأولى:** هي طريقة «الأشكال الثقافية»، التي تسعى إلى تحديد الأنماط السائدة في الثقافات، والتي تحبذ نمو بعض نماذج الشخصية.
**الطريقة الثانية:** هي طريقة «الشخصية النموذجية» التي تؤكد ردود فعل الفرد تجاه الوسط الثقافي الذي ولد فيه. وهي طريقة اثنولوجية في أساسها، لان المرجع فيها دائما هو النظم الاجتماعية، و الأنماط الثقافية، التي تشكل الأطر التي ينمو بداخلها بنيان الشخصية السائد لدى الجماعة. أو ما يسمى بالشخصية القومية ، فهي تركز اهتمامها على الفرد، معتمدة على تطبيق التحليل النفسي وعلى الدراسة المقارنة لمشكلات أوسع، تتمثل في مشكلات التلاؤم الاجتماعي.

**الطريقة الثالثة:** هي «طريقة الإسقاط «PROJECTION التي تستخدم طرائق الإسقاط المختلفة، في التحليل، ولاسيما رائز بقع الحبر لرورشاخ ، و رائز تفهم الموضوع . وذلك لتحديد نطاق بنيان الشخصية في مجتمع معين. وفي هذه الطريقة يسقط الفرد قناعاته و انتماءاته الثقافية أثناء إجاباته على أسئلة و مواقف هذه الاختبارات.

كما نشير إلى أن الانثروبولوجيا هي الحقل العلمي الخصب و الأكثر ملاءمة لدراسة التأثيرات المختلفة بين شخصية الفرد و الثقافة بالاستعانة بالاثنوغرافيا l'ethnographie

أو علم وصف الأعراق و مجاله الدراسة الوصفية لطرائق و أساليب الحياة لعرق من الأعراق أو مجتمع أو شعب ما. و الاثنولوجيا l'ethnologie أو علم الأعراق البشرية الذي يركز على الوصف و التفسير لمجموع الخصائص الاجتماعية و الثقافية للجماعات الإنسانية

المدروسة. و يرى الانثربولوجيون أن الثقافة هي ما يصنعه الإنسان في بيئته.